53 - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم .

- 54 - وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون .

- 55 - واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون .

- 56 - أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب ا وإن كنت لمن الساخرين .

- 57 - أو تقول لو أن ا هداني لكنت من المتقين .

- 58 - أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين .

- 59 - بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين .

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن ا تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه عن ابن عباس Bهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى ا عليه وسلّم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل : { والذين لا يدعون مع ا إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم ا إلا بالحق ولا يزنون } ونزل : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } (أخرجه البخاري ورواه مسلم وأبو داود والنسائي) . وعن ثوبان مولى رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم } " (أخرجه الإمام أحمد عن ثوبان Bه) إلى آخر الآية . وعن عمرو بن عنبسة Bه قال : جاء رجل إلى النبي صلى ا عليه وسلّم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يا رسول ا إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي ؟ فقال صلى ا عليه وسلّم : " ألست تشهد أن لا إله إلا ا ؟ " قال : بلى وأشهد أنك رسول ا فقال صلى ا عليه وسلّم : " قد غفر لك غدراتك وفجراتك " (تفرد به أحمد من حديث عمرو بن عنبسة) . وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد Bها قالت : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقرأ : { إنه عمل غير صالح } وسمعته صلى ا عليه وسلّم يقول : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم } (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي) .

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة ا وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال ا تعالى : { ألم يعلموا أن ا هو يقبل التوبة عن عباده } وقال D : { ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر ا يجد ا غفورا رحيما } وقال جل وعلا في حق المنافقين : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ... إلا الذين تابوا وأصلحوا } وقال تبارك وتعالى : { إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا } قال الحسن البصري C : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جدا وفي الصحيحين عن أبي سعيد Bه عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم حديث الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابدا من عباد بني إسرائيل هل له من توبة ؟ فقال : لا فقتله وأكمل به مائة .

ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد ا فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر ا D أن يقيسوا ما بين الأرضيين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشير فقبضته ملائكة الرحمة هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه وقال ابن عباس في قوله D { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم } الآية قال : قد دعا ا تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو ا ومن زعم أن المسيح هو ابن ا ومن زعم أن عزيرا ابن ا ومن زعم أن ا فقير ومن زعم أن يد ا مغلولة ومن زعم أن ا ثالث ثلاثة يقول ا تعالى لهؤلاء : { أفلا يتوبون إلى ا ويستغفرونه وا غفور رحيم } . ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال : { أنا ربكم الأعلى } وقال : { ما علمت لكم من إله غيري } قال ابن عباس Bهما : من من آيس عباد ا من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب ا D ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب ا عليه وروى الطبراني عن ابن مسعود قال : إن أعظم آية في كتاب ا { ا لا إله إلا هو الحي القيوم } وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر { إن ا يأمر بالعدل والإحسان } وإن أكثر آية في القرآن فرحا { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } وإن أشد آية في كتاب ا تفويضا : { ومن يتق ا يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } (رواه الطبراني عن ابن مسعود موقوفا) . ومر عبد ا بن مسعود Bه على قاص وهو يذكر الناس فقال : يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة ا ؟ ثم قرأ : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } (رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أيضا) .

(ذكر أحاديث فيها نفي القنوط) .

عن أنس بن مالك Bه قال سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " والذي نفسي بيده لو

أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم ا تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء ا D بقوم يخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم " (تفرد به الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك) وعن أبي أيوب الأنصاري Bه أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " لولا أنكم تذنبون لخلق ا D قوما يذنبون فيغفر لهم " (أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي) وعن ابن عباس رضي ا تعالى عنهما قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " كفارة الذنب الندامة " (أخرجه أحمد عن ابن عباس موقوفا) وقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " لو لم تذنبوا لجاء ا تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم " (تفرد به الإمام أحمد) . ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال : { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } الخ أي ارجعوا إلى ا واستسلموا له { من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون } أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم } وهو القرآن العظيم { من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون } أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال تعالى : { أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب ا } أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين D وقوله تبارك وتعالى : { وإن كنت لمن الساخرين } أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق { أو تقول لو أن ا هداني لكنت من المتقين ... أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين } أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل قال ابن عباس : أخبر ا سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى : { ولا ينبئك مثل خبير } { أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب ا وإن كنت لمن الساخرين ... أو تقول لو أن ا هداني لكنت من المتقين ... أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين } فأخبر ا D أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال : { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } وفي الحديث : " كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن ا هداني فتكون عليه حسرة قال : وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن هداني ا قال : فيكون له الشكر " (أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة مرفوعا) ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات ا واتباع رسله قال ا سبحانه وتعالى : { بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين } أي قد جاءتك أيها العبد النادم آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها